البصرة في رسائل وتقارير المرسلين الأمريكان

الاستاذ الدكتور
ليلى ياسين حسين
جامعة البصرة ـ كلية التربية للبنات

مدخـــل :-

تعد رسائل وتقارير المرسلين او المبشرين من الطوائف المسيحية المختلفة بمثابة وثائق منشورة تحوي الكثير من المعلومات الغنية بشكل كبير ومهم جداً ، فهي أكثر من كونها تسجيلا زمنيا لنشاط هؤلاء المبشرين والمرسلين، التي هي المهمة الأولى لهم ، بل تعد مرأة عاكسة لنشاطهم الصحي والثقافي والاجتماعي ، وحتى التاريخي في المناطق التي يعملون بها .

والمجموعة التي نحن بصدد الكلام عنها ، هي تقارير ميدانية ورسائل فصلية بعث بها المرسلون الأمريكان أعضاء الإرسالية العربية ، إلى مقر الإرسالية في مدينة تيوبرونزويك (New Brunswik) بولاية نيوجرسي (New Jersey) الأمريكية، والإرسالية العربية هي إرسالية أمريكية بروتستانتية[١] ، ذات أهداف تبشيرية للعمل على تحويل أهالي الخليج العربي والجزيرة العربية إلى الديانة المسيحية . تأسست في سنة ١٨٩٩ ، وباشرت أول مركز تبشير لها في مدينة البصرة سنة ١٨٩١ ، واستمرت لسنوات عديدة مركزاً وقاعدة للانطلاق باتجاه منطقة الخليج العربي مع محاولة للتوغل إلى عمق الجزيرة العربية[٢] .

وكانت تلك الرسائل والتقارير الميدانية تنشر في مجلة بعنوان (Neglected Arabia) حيث بدأت الإرسالية بطبع تقاريرها منذ سنة ١٨٩١[٣] .

فظهرت الأعداد (١-٢٦) في الثلاثين من حزيران ١٨٩٨ ، بينما طبعت الرسائل الفصلية في الأعداد (٢٧-٤٠) ما بين تموز ١٨٩٨ إلى كانون الأول ١٩٠١ . ولم يتجاوز العدد الواحد آنذاك (١٦) صفحة ، وكانت قد صدرت الأعداد (٤١-٢١٥) من المجلة تحت عنوان (Neglected Arabia) وذلك للمدة (١٩٠٢-١٩٤٩) ، ومن ثم طبعت المجلة تحت عنوان (Arabian Calling) حيث تضمنت الأعداد (٢١٦-٢٥٠) وغطت المدة ١٩٤٩-١٩٦٢[٤] ، وأن أخر طبعة حديثة متوفرة للمجلة هي طبعة ١٩٨٨ ، (Cambridg Archive Edition 1988) وقد صدرت في ثمان مجلدات مزينة بالصور الفوتوغرافية والرسوم التوضيحية[٥] .

البصرة أول محطة للإرسالية العربية الأمريكية

تاريخياً ورد في الوثائق المذكورة أن فكرة مشروع الإرسالية العربية بدأ بحوار بين رجلين على متن باخرة محيطية في مطلع ثمانينات القرن التاسع عشر ، احدهما بوكنان (W.A. Buchanan) ، وكان احد أمناء الإرسالية العربية ورجل أعمال في البصرة ، والأخر ، د. لانسنغ (prof . J.G.Lansing) من القاهرة ، وكان رائد الإرسالية الأمريكية المصرية[٦] ، وأستاذ اللغتين العبرية والعربية في المعهد اللاهوتي للكنيسة المصلحة الهولندية[٧] (The Dutch Reform Church) في مدينة نيوبرورنزويك الأمريكية ، وتحولت الفكرة إلى حقيقة واقعة في آب ١٨٨٩ بفضل جهود الأخير وثلاثة من مساعديه وهم جيمس كانتين (James Cantine) وفيليب فيليبس (Philip Phelps) ، وصاموئيل زويمر[٨] (Samule Zewmmer) طلاب المعهد المذكور .

اتخذت الإرسالية في بادئ الأمر من العاصمة اللبنانية بيروت محطة انتقالية للعمل الميداني ، فمكثوا فيها بضعة اشهر للتعرف على المجتمع العربي وجمع المعلومات ودراسة اللغة العربية والتدريب والتخطيط للعمل المقبل ، حيث تلقت الإرسالية العون من

المرسلين الأمريكان الذين كانوا يزاولون نشاطهم في بيروت قبل تأسيس الإرسالية العربية بوقت طويل[٩] .

وانطلاقا من بيروت قام أعضاء الإرسالية بجولات استطلاعية في منطقة الخليج والجزيرة العربية ، ومنها عدن واليمن وبوشهر لدراسة أوضاع المنطقة الجغرافية والاجتماعية والدينية والسياسية ، بحثاً عن منطقة ملائمة للعمل ، وقد استقر رأيهم في خريف ١٨٩١ على تأسيس أول محطة للإرسالية في مدينة البصرة ، وكان بين من شجعهم للمجيء إلى البصرة د. ماركوس يستايس (Marcus Eystace) ، وهو طبيب عمل لسنوات عدة مبشراً لصالح الجمعية الكنسية للبعثات التبشيرية في بلاد فارس في أصفهان وكوتا وبلوجستان ، وكان في وقتها طبيباً للجالية البريطانية في البصرة[١٠] .

ولم يكن اختيار مدينة البصرة قاعدة ومحطة أولى للإرسالية العربية أمراً عفوياً ، بل كان مدروساً ومخططاً ، فأنها اكبر واهم ميناء يسيطر على الرأس الشمالي للخليج العربي والباب المفتوح لتسهيل عمل المرسلين للنفاذ الى عمق الجزيرة العربية[١١] .

ليس ذلك فحسب بل أن البصرة ، كما لاحظ أعضاء الإرسالية ، كانت مدينة واسعة وكثيفة السكان وتضم مختلف الأجناس والطوائف ، حتى بدا لهم ان أي عمل تبشيري فيها لن يكون محط أنظار السلطة المحلية ، وعليه جاء التأكيد على ان تكون البصرة رسمياً أول محطة للإرسالية العربية بعد الانتقال من بيروت ، وقد رحبت بهم البعثات التبشيرية القريبة من هناك والتابعة للجمعية الكنسية في بغداد ، كما وعدتهم جمعية الكتاب المقدس البريطانية بمساعدتهم والتعاون معهم ، وكان أول من رحب بهم في البصرة عائلة الدكتور يستاس الذي بات منزلهم ، طيلة مدة إقامتهم في البصرة ، مقراً مرحلياً لقيادة الإرسالية[١٢] .

وما ان استقر أعضاء الإرسالية حتى تم استئجار محل صغير في سوق البصرة الشعبي لبيع الكتاب المقدس وشرح العقيدة المسيحية ، ومن ثم واصل صاموئيل زويمر، وجيمس كانتن ، وهما أول رائدين للعمل التبشيري في محطة البصرة جولاتهما

الاستكشافية في جميع الاتجاهات على طول امتداد نهري دجلة والفرات ونهر الكارون وموانئ الخليج العربي لدراسة الأوضاع الجغرافية والسياسية عن كثب[١٣] .

وكانت قد استثيرت آنذاك الرغبة لدى أعضاء الإرسالية لاستقدام بعثة تبشيرية طبية إلى البصرة ، حيث كان المبشرون يركزون في عملهم على تامين الحاجات الأساسية كالسكن والمستشفى والمدرسة والكنيسة ، لاسيما في الإحياء التي تمكنهم من الاتصال مع الناس .

الخدمات الصحية والتعليمية في البصرة من خلال كتابات المرسلين الأمريكان

كان التطبيب في البصرة يعتمد على الطب الشعبي أو المحلي ، ولم تظهر السلطات المحلية العثمانية أي بوادر للاهتمام بالصحة العامة ، إلا بعد تولي مدحت باشا ولاية بغداد (١٨٦٩-١٨٧٢) ، وكانت البصرة تابعة لها آنذاك ، فعلى اثر زيارة الأخير لسنجق البصرة أسست دائرة البلدية سنة ١٨٦٩ ، فالحق بها مستوصف تالف من بضعة شعب لتقديم الخدمات الصحية والوقائية والبيطرية قام بإدارته طبيب واحد كان من واجباته تفتيش المرافق المدنية المختلفة والتنبيه عن المخالفات الصحية[١٤] ، وإدارة المستشفى فيما بعد[١٥] .

ولما كان أعضاء الإرسالية يعولون على تقديم الخدمات للأهالي في تحقيق أهدافهم التبشيرية ، فقد كان العمل الصحي والتطبيب اول ما فكر به المرسلون الأمريكان للتغلغل بين الناس ، وفي الوقت نفسه منافسة البعثات التبشيرية الأخرى ، غير البروتستانتية ، التي تعمل في المجال نفسه .

ومن الجدير بالذكر أنه لم يكن من السهولة بمكان عمل الأطباء الأجانب في البصرة ، إذ كان عليهم ، وفق التعليمات العثمانية ، الحصول على شهادة من استانبول لإضفاء الشرعية على عملهم في هذا الميدان ، وعليه وصل إلى البصرة في آذار ١٨٩٤

الدكتور وايكوف(Dr.J.T Wyekoff)، وقد حصل على شهادة الدبلوم في الطب من استانبول والتي منحته شرعية العمل في البصرة(١٦) .

فقام الطبيب المذكور بمعالجة المرضى ، وفي الوقت نفسه ، كان يتعلم اللغة العربية ، والتعرف على أحوال الناس بصفته احد أعضاء الإرسالية ، ولكنه لم يستمر طويلاً فقد اضطره المرض العودة إلى الولايات المتحدة ولم يكمل السنة الواحدة ، وذلك بسبب انتشار مرض الحمى آنذاك في البصرة(١٧) .

وبالرغم من انتشار الأمراض إلا ان تردد المرضى على مستوصف الإرسالية كان ضئيلاً جداً في بادئ الأمر ، مع العلم ان الخدمات الطبية كانت جيدة ومنتظمة ، وفي ١٨٩٥ شهدت البصرة انتشار مرض الطاعون بشكل مفاجئ وسريع ، لاسيما وأن الإمراض المعدية كانت تجد لها أرضا خصبة في مثل تلك المناطق لعدم توفر الشروط الصحية والرعاية الطبية الحديثة ، حتى ان تفاقم الوباء وازدياد أعداد الضحايا أدى إلى إضعاف ثقة الأهالي بخدمات الإرسالية الطبية لعدم تمكنها من السيطرة على المرض ، الأمر الذي دفع أعضاء الإرسالية إلى التفكير الجدي في بناء مستشفى في البصرة لإرساء دعائم النشاط الطبي على قواعد ثابتة ولكي يتمكنوا من مواجهة مثل تلك الاوبئة. غير ان ذلك لم يكن ممكناً قبل عام ١٩٠٨ أي قبل الثورة الدستورية لان السلطات العثمانية لم تكن تسمح آنذاك ببناء مستشفى بل وكثيراً ما تعرض أطباء الإرسالية إلى محاولة أعاقة عملهم وأداء عملياتهم(١٨) .

وبمرور الوقت عادت الخدمات الصحية إلى طبيعتها وانتظامها وبحلول سنة ١٨٩٦ لوحظ ازدياد عدد المراجعين لمستوصف الإرسالية لاسيما من النساء ، فظهرت الحاجة إلى تكثيف الخدمات الطبية ، التي أصبحت فوق طاقة طبيب واحد ، وكان آنذاك د. شارون تومس (Dr .J.S. Thoms) ، الذي التحق بفريق عمل الإرسالية في سنة ١٨٩٥ خلفاً للدكتور، وايكوف ، وعليه ففي ١٨٩٨ وصل إلى البصرة د. لانكفورد وورال (Dr . L . Warral) طبيباً ومبشراً ، وقد استمر عمله هو وزوجته لسنوات

عديدة في البصرة[١٩] ، واثر التحاق د. تومس ، بحلول سنة ١٩٠٠ بمحطة الإرسالية العربية في البحرين ، للحاجة إلى خدماته الطبية هناك ، بقي د. وورال الطبيب الوحيد المسؤول عن إدارة مستوصف الإرسالية في البصرة تساعده زوجه الدكتورة ووورال[٢٠].

وخلال ذلك كان عدد المراجعين للمستوصف قد أخذاً بالازدياد ولمختلف الأمراض . بما فيها أمراض العيون ، التي كانت تكثر في فصل الصيف بسبب ارتفاع درجات الحرارة ، وفي عام ١٨٩٩ أجرى د. وورال اول عملية جراحية في البصرة . وقد عدّ ذلك آنذاك حدثاً مهماً في ميدان الطب لم يسبق للإرسالية ان قامت بمثله ، ولكن لم يشر إلى نوع العملية[٢١] .

وكما أشارت الدكتورة وورال ان معالجة الفقراء في المستوصف كان مجاناً بينما كان يتم استيفاء الأجور من الأغنياء والقادرين على الدفع من اجل تسديد تكاليف الأدوية والاستمرار في ممارسة العمل في المستوصف .

ومع مطلع القرن العشرين حصل تطور في أجراء العمليات الجراحية في البصرة حيث أجرى د. وورال عدة عمليات جراحية لاستخراج الحصى من الكلية عام ١٩٠٢[٢٢] .

وتشير الوثائق إلى تعرض البصرة إلى أمراض الحمى بشكل كبير سنوياً وبخاصة حمى الملاريا ، التي لم ينج منها حتى أعضاء الإرسالية الذين (صاروا يتقاسمونها مع العراقيين)[٢٣] ، ولضمان عدم الإصابة بالمرض اضطر أعضاء الإرسالية إلى الانتقال إلى مكان صحي أفضل ليكونوا في مأمن من هجمات الحمى ، والى تناول ((جرعات صغيرة مما يدعى محلياً خبز البصرة وهي المادة القلوية التي تعالج الملاريا)) وفقاً لما ذكرته الدكتورة ووورال"[٢٤] .

ونظراً لازدياد أعداد المراجعين ، ولتحفظ بعض النساء من المعالجة عند طبيب رجل ، افتتحت الدكتورة ووورال مستوصفا خاصا بالنساء بدأ العمل به عند نهاية شهر شباط ١٩٠٤[٢٥] .

وبعد جهود متواصلة واستثنائية وبمساعدة السفارة الأمريكية في القسطنطينية شهدت البصرة في سنة ١٩١٠ وضع الحجر الأساس لمستشفى لاننسغ التذكاري، الذي بوشر العمل به في السنة التالية ، وكان يقع وسط بساتين النخيل بعيداً عن مركز المدينة غير ان موقعه هذا لم يمنع كثرة المراجعين للمستشفى الذين كان يتم إرجاع معظمهم مرغمين لكثرة أعدادهم ولعدم توفر الخدمات الكافية ، حيث كان يعاني المستشفى من قلة عدد الممرضات ، كما انه لا توجد ممرضة متمرسة للإشراف على التمريض ، وفي وقت كتابة التقرير كان في المستشفى (٣١) مريضاً منهم (٢٥) عمليات جراحية و(٦) مرضى عاديين ، وأنه حتى ذلك الوقت تمت معالجة خمسة ألاف حالة ، وأن عيادة المستشفى كانت تستقبل بحدود (١٠٠) حالة يومياً ، وقد تم تخصيص يومين من الأسبوع للعمليات الجراحية[٢٦] وللتخفيف من ضغط العمل في المستشفى ، وصل بعض المتطوعين في العمل الطبي لمساعدة أطباء الإرسالية في هذا المجال ومنهم د. فان فلاك (Dr . Van Vlack) من جامعة ميشغان الأمريكية ، وقد كان يساعدهم في العمليات الجراحية ويدرس اللغة العربية في الوقت نفسه[٢٧] .

ومن الأمراض التي كان متعارفا عليها في البصرة ، والتي كانت تعد ، في الوقت نفسه ، من الإمراض المهملة تشير التقارير إلى مرض الجذام[٢٨] ونظراً لانتشار المرض المذكور بشكل واسع خصص أعضاء الإرسالية في عام ١٩١٢ جزءاً من خدماتهم الطبية للعناية بمرضى هذا المرض ، ولما كان عددهم كبيراً نسبياً واجه الأطباء صعوبة في عزل أولئك المرضى عن الأصحاء لمنع وصول العدوى إليهم ، وبسبب الجهل وقلة الوعي الصحي وحتى انعدامه لم يأبه الناس بخطورة المرض المذكور . لاسيما المصابون به ، حتى ان بعض المجذومين ، كانوا يختلطون بالناس لسنوات عديدة بدون أي اهتمام ودون ان يأبه أولئك بأن ذلك يشكل خطراً يؤدي إلى انتشار الوباء المذكور ، وعليه تم في عام ١٩١٣ تخصيص غرفة معزولة على مسافة غير بعيدة من مستشفى الإرسالية لمعالجة مرضى الجذام ، وعلى الرغم من ان المرض

لا يمكن معالجته كما أشار د . بينيت (Dr. Benett Arther) ألا أنه كانت هناك بعض التدابير لتخفيف تلك الحالات او بالأحرى ممارسة بعض الإرشادات التبشيرية والروحية إلى غير ذلك من الأمور[٢٩] .

وهكذا استمرت عيادات الإرسالية تستقبل أعداد المراجعين المتزايدة وفي مختلف الإمراض لحين اندلاع الحرب العالمية الأولى واحتلال الجيش البريطاني لمدينة البصرة في ١٩١٤ ، عندها توجه الكادر الطبي والصحي للإرسالية للعناية بالجنود البريطانيين إلى ان وضعت الحرب أوزارها ، وبعد افتتاح مستشفى مود في البصرة في سنة ١٩١٧[٣٠] ، تم نقل مستشفى لاننسنغ التذكاري إلى مدينة العمارة حيث كانت الحاجة إليه أكثر وذلك في سنة ١٩٢٦[٣١] .

والى جانب الخدمات الطبية لوحظ من رسائل وتقارير المرسلين اهتمامهم بالخدمات التعليمية أيضاً لكونها قناة مضافة للنفاذ إلى فئات المجتمع المختلفة ، تحقيقاً لهدفهم الأساسي وهو التبشير بين مختلف تلك الفئات سواء من المسلمين او اليهود والطوائف المسيحية المختلفة لكسبهم إلى المذهب البروتستانتي ، وعليه كان التعليم وإنشاء المدارس من الوسائل الرئيسية الأخرى .

ووفقاً لتلك التقارير والرسائل لم يكن الأمر سهلاً في ولايات الدولة العثمانية ومنها البصرة ، الأمر الذي يسلط الضوء على موقف الدولة العثمانية من النشاط التبشيري في ولاياتها آنذاك ، والذي كان ينم عن عدم قناعة الأخيرة في نوايا المرسلين الهادفة إلى خدمة مصالح دولهم الاستعمارية ، وفي ذلك أشار احد أعضاء الإرسالية العربية في البصرة بقوله " كأن الحكومة التركية كانت متيقظة لحقيقة الآمر بأننا نغرس أوتادا عميقة ، وعقدت العزم على استئصالها ...[٣٢].

وقد تعرضت تلك الرسائل والتقارير إلى العقبات التي واجهت فتح مدارس الإرسالية العربية في البصرة ابتداء من المعاناة في الحصول على الإجازة أو الفرمان

السلطاني لفتح تلك المدارس مروراً بتامين البنايات اللازمة لذلك وفي الأماكن المناسبة ، وضرورة تأمين المدرسين والمناهج الدراسية المناسبة[٣٣] .

وفي معرض الحصول على الموافقات اللازمة تمت الإشارة إلى الفساد الإداري بين الموظفين العثمانيين "فكما هو الغالب" كما ورد في إحدى تلك الرسائل "كانوا انتهازيين لا يهمهم إلا ملئ محفظاتهم .... فكثيراً ما كانوا يلجأون إلى المراوغة والكذب واختلاق الذرائع والتسويفات التي يتقنها الأتراك أكثر من غيرهم ...))[٣٤] .

ولوحظ أيضاً ان الدول الأوربية في استانبول كانت تلعب دوراً مهماً في الحصول على تلك الموافقات من البلاط العثماني ، حيث كان للسفير الأمريكي في العاصمة العثمانية دور في تعقب الموافقات اللازمة للإرسالية العربية في دهاليز الحكومة العثمانية ، وبعد الحصول على الموافقة بفتح المدرسة ، وتهيئة البناية اللازمة يبدأ دور السلطة المحلية او مكتب التربية المحلي بالتدخل في مناهج تلك المدارس لاسيما تدريس الإنجيل ، على الرغم من استحصال أمر إمبراطوري بتدريسه وذلك بسبب تحريض الأهالي المتحفظين على تدريس الإنجيل لأبنائهم في تلك المدارس[٣٥] .

من جانب أخر شعر أعضاء الإرسالية بوجود نوع من المنافسة في مجال العمل التربوي في البصرة ، إلا أنه لم يبدُ على أنها قضية حيوية في الوقت نفسه ، فبغض النظر عن مدارس القرآن (الملّة) ، فأن مدارس البنين الحكومية كانت مجهزة بشكل جيد ومدعمة من الحكومة المحلية إلا أنها لا تدار بشكل جيد ، والدروس فقيرة بالمادة العلمية وغير نظامية ((حتى ان التلاميذ يتخرجون منها بدرجة من الجهل التي دخلوا بها))[٣٦] ، حسب تعبير أعضاء الإرسالية .

وهناك أيضاً مدارس الطوائف المختلفة من المسيحيين الشرقيين من الكلدان والسريان والأرمن ، والكنيسة اللاتينية ، شأنهم شأن مدارس اليهود ، غير ان تلك المدارس كانت مقتصرة على أبناء تلك الطوائف فقط .

وبعدها تهيأت المستلزمات المادية والموافقات الحكومية كافة ، تاريخياً تشير التقارير إلى افتتاح مدرسة الرجاء العالي (School of high hope) ، الاسم الرسمي لمدرسة البنين في نيسان ١٩١٢[٣٧] ، ومدرسة الرجاء للبنات (School of woman's hope) في كانون الأول من السنة نفسها ، بجهود السيد جون فان ايس (John Van Ess)[٣٨] وعقيلته السيدة دوروثي فان ايس[٣٩] .

وعند افتتاح الفصل الصيفي عام ١٩١٣ كان عدد من سجل بالمدرسة من البنين يزيد على الثمانين تلميذاً ، أما مدرسة البنات فقد ضمت (٢٩) تلميذة ، وكان نصف العدد من كلا الجنسين من المسلمين[٤٠] .

وقد كانت اللغة العربية هي اللغة الرسمية في كلتا المدرستين ولجميع الدروس في الفروع المشتركة ، إلى جانب اللغة الانكليزية ، كما استخدمت اللغة التركية ، لغة الحكومة الرسمية ، إلى جانب اللغات الفرنسية والفارسية كلغات اختيارية ، وتم اختيار المناهج الدراسية على نسق مناهج الدراسة الابتدائية والمتوسطة والعالية الأمريكية[٤١] .

وعلى الرغم من الامتيازات التي تمتعت بها مدرسة الرجاء للبنات بشكل خاص من حيث المكان والمبنى والمناهج الدراسية والترفيهية شعرت مديرة المدرسة السيدة دوروثي فان ايس بأن مدرسة البنات الحكومية ، وهي المدرسة الوحيدة في البصرة[٤٢] ، كانت تشكل عائقاً أمامهم ومنافساً قوياً لهم في اجتذاب البنات المسلمات ، لانهم يتعلمون القرآن ، وفي الوقت نفسه يتحاشون دراسة الإنجيل في مدارس الإرسالية ، ونظرا لانتقال عدد من الطالبات المتفوقات من مدرسة الرجاء إلى المدرسة الحكومية ، وشعور أعضاء الإرسالية بأن استمرار انتقال تلميذاتهن له تأثير على مدرسة الإرسالية ، قامت السيدة دوروثي بزيارة لتلك المدرسة والإطلاع على امتيازاتها ، فاخترقت ، على حد تعبيرها، الشوارع الخلفية المزدحمة والقذرة بحثاً عن مكان المدرسة التي وصفتها بقولها لا تعدو عن كونها ((ثقب صغير في الجدار في واحد من أضيق واظلم الأزقة التي رايتها في حياتي وإنا في البصرة ....))[٤٣] .

وفي أثناء دخولها وصفت بناية المدرسة الآيلة إلى السقوط والسلم المقوس المتصدع وقد ((تهرأت وارتجت سلماته .. والسقف الطيني المتمعج والاسيجة المتداعية)) ، كما لاحظت ((الأتربة التي غطت أرضية الصف الدراسي والنوافذ التي كستها خيوط العنكبوت ، وجلست في إحدى زوايا الصف امرأة ذات ملامح قاسية كانت تلك معلمة اللغة العربية ، وقد جلست أمامها اثنتا عشرة فتاة صغيرة على صف من المصطبات المتداعية)) ، وقد كتبت السيدة دوروثي "تلك هي مدرسة الغد" وعلقت بقولها ((ذلك هو الشيء الوحيد الذي وفرته الحكومة التركية السامية للتعليم العالي للمرأة في البصرة التي يقال بأنها أغنى منطقة في الإمبراطورية اجمع))[٤٤] .

وبعد الإطلاع على قدرة التلميذات التي كانت ضعيفة جداً مقارنة بتلميذات مدرسة الإرسالية ، والمناهج البسيطة والنظام والنتائج التي "لم تكن شيئاً" قفلت السيدة دوروثي بالعودة إلى الشوارع المفتوحة والبيوت الجميلة على طول الجدول الرئيسي في البصرة تاركة وراءها "مدرسة اليأس" كما أطلقت عليها لتستقبلها البوابة الكبيرة لمدارس الرجاء ((بصفوفها النظيفة وستائرها الناصعة البياض والمناضد المريحة ، فضلا عن الدروس المنهجية يتعلمن الخياطة والتخريم والعزف على البيانو والاستمتاع بالرياضة التي تعد جزءاً منتظماً من المنهج لاسيما خلال الطقس البارد ، إلى جانب استخدام الوسائل التعليمية من الخرائط والكرات الأرضية والمخططات والأدوات الحديثة التي كانت مصدراً للبهجة والسرور للتلاميذ البنين والبنات على حد سواء))[٤٥].

يتضح من زيارة السيدة دوروثي ان السلطات العثمانية لم تول التعليم الاهتمام الكافي لاسيما تعليم البنات ، كما ان السلطات البلدية لم توفر اهتماما يذكر للمناطق الشعبية التي وصفت أزقتها بالقذرة ، وكأن البصرة كانت تبدو مقسمة إلى قسمين الأحياء الشعبية بأزقتها الضيقة القذرة والمزدحمة وبيوتها الطينية ، والقسم الأخر حيث سكن العوائل الغنية ومؤسسات الحكومة والبيوت الجميلة وقصور الباشوات على طول نهر العشار ، وهي المنطقة المفتوحة بشوارعها النظيفة حيث تم بناء مدارس الإرسالية .

ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى واحتلال بريطانيا للعراق استبشر أعضاء الإرسالية بكل الخير للتخلص من التسلط العثماني ومضايقاته لهم ، وقد تعاون جون فان ايس والكادر التعليمي للإرسالية مع سلطات الاحتلال بعد انتهاء الحرب من حيث التوسع في فتح المدارس وتهيئة الكادر التعليمي للمدارس وذلك برسم الخطوط الرئيسة للسياسة البريطانية التعليمية في البصرة وذلك بتدريب بعض الشباب المتميز في مدارس الإرسالية ، وتهيئتهم لقيادة إدارة مدارس الغد في ظل الاحتلال البريطاني وقد اختير فان ايس مديراً للمعارف في البصرة خلال تلك الحقبة(٤٦) .

ومن خلال الكلام عن اهتمام المرسلين الأمريكان بالخدمات الطبية والتعليمية يتضح لنا اهتمام هؤلاء بالحياة الاجتماعية لتلك المجتمعات التي كانوا يعايشونها أو تلك التي كانوا يقومون بزيارتها ، فكانوا يركزن على الحالة العلمية والدينية من حيث تمسك الناس بالدين أو بعدهم عنه ، أو بالعادات والتقاليد في تلك المجتمعات .

وبغض النظر عن الصعوبات التي واجهت هؤلاء في الحصول على تراخيص فتح المدارس وبناء المستشفيات والى أخره من الأدوات المادية الملموسة ، إلا ان الصعوبة الأكبر التي استشعرها هؤلاء هي المتمثلة ((بالجدار القديم لمعتقدات المسلمين الخرافية ...)) ، حسب تعبيرهم ، ((وكسر حاجز عدم الثقة في التعامل معهم ، والتي كانت تشكل حاجزاً أكثر مناعة من أي حاجز أخر ...))(٤٧).

فقد رأى هؤلاء ((قد يلتمس رجلاً شرقياً العون الطبي لنفسه وعائلته لأمراضهم البدنية وقد يصغي بدماثة أكثر أو اقل لشرح حول عقيدة غريبة ، ولكنه سيفكر ملياً قبل الوثوق بتدريب أبنائه اليومي تحت تأثير المعلمين الأجانب))(٤٨).

وعليه فبقدر ما كان المرسلون يعولون على المجتمعات الأفقر والأكثر بساطة كانوا يعولون على المرأة التي هي الأضعف بين فئات المجتمع ، في تحقيق أهدافهم التبشيرية ، لأن التأثير على المرأة وكسبها يعني التأثير على الأسرة بكاملها ، وتحويلها ضمن أهدافهم التبشيرية ، إلى البروتستانتية ، وما كان اهتمام الدكتورة وورال في فتح عيادة

للنساء في عام ١٩٠٤ ، إلى جانب ما ذكرناه من الأسباب ، إلا لغرض التقرب إلى المرأة .

وأنه ومنذ مطلع عام ١٩٠٠ قد أدرك المرسلون الأمريكان ((ان هناك في البصرة ساحة جيدة بخصوص العمل بين النساء ...))[٤٩] ، وقد دفعت الإرسالية العربية بكادرها النسوي من الطبيبات والمبشرات للتغلغل بين النساء البصريات ، من خلال تجمعات النساء في عيادات الإرسالية ، لأن المستشفى والمستوصف كانا يهيئان الفرصة الجيدة للعمل التبشيري ، ويخلقان الجو المناسب للاتصال مع المرضى ، حتى ورد ان التبشير في أجنحة المستشفى غالباً ما يكون أكثر الإعمال متعة لاسيما وأنه يحسب لنشاط المبشر الشخصي ، وأن نتائجه هي الأكثر سرعة من أي مجال أخر[٥٠] .

وبدورها ذكرت الدكتورة وورال بأن عددا من النساء أخذن يستمعن إلى الكتاب المقدس والمواعظ التي كانت تقدمها وزميلتها الآنسة ميلر . وقد أشارت بـ ((ان الجهل كان سيد الموقف بين النساء البصريات والجنوبيات في العراق....))[٥١] .

ونظراً لعدم تقبل الناس للعقيدة المسيحية ، وصفتهم الدكتورة وورال بأنهم ((جهلاء لدرجة أنه من الصعوبة ان يدخلوا أفكاراً جديدة في عقولهم ....)) ، وأشارت إلى أنه ((من بين جميع النساء اللواتي كان يأتين إلى المستوصف هناك ثلاث نساء فقط يستطعن القراءة ، وواحدة من هؤلاء تدعى " الملاية "[٥٢] وهي امرأة تحفظ بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، والنعي على الموتى .

ومن حيث طبيعة العمل بين النساء صنفت السيدة إليزابيث كانتين نساء البصرة إلى ثلاث فئات ، الأغنياء جداً والفقراء جداً والفئة الوسطى ، وأشارت إلى ان العمل مع الفئة الأخيرة هو الأفضل والأكثر تقبلاً لأنهم ((كقاعدة أذكياء ويرغبون في الاستماع إلى الرسالة ... بعكس الفئة الأولى فهم بالرغم من حبهم للنداء الاجتماعي إلا أنهم لا يبالون للتبشير بالإنجيل))[٥٣] ، أما الفقراء فهم جهلاء جداً ومن الصعوبة التعامل معهم . وأضافت بأن نساء الفئة الوسطى غالباً ما يعملون في الأرض في بساتين النخيل

الكبيرة حيث يمكن قضاء ساعات بهيجة ومفيدة عند زيارتهم في تلك البساتين[٥٤] . وكما المستشفى فأن المدرسة كذلك ، لاسيما مدرسة البنات لم تكن مركزاً اجتماعياً للأمهات فحسب بل وسيلة للولوج داخل العديد من البيوت التي لم يسبق ان دخلوها .

فمن جانبها حاولت السيدة دوروثي فان ايس أن تنشئ علاقات اجتماعية مع النساء البصريات من خلال دعوتها لهن في بيتها او من خلال زيارتهن والتعرف عليهن وعلى عاداتهن عن كثب ، فتحت عنوان "فاطمة وأخواتها" تناولت دوروثي المرأة العربية وبخاصة البصرية وما لها من عادات وتقاليد وهو ما يشير إلى اهتمام المبشرين بهذا الأمر[٥٥] .

كذلك استفادت الإرسالية العربية من تجربة المرأة حنان ، وهي والدة بائع الكتب المسيحي في البصرة ، في زيارة العديد من بيوت البصرة لبيع الكتاب المقدس ، والتي وجدت ان الناس أما كانوا عدائيين تجاهها أو غير مبالين أو مرحبين بوجودها ، حتى ان بعضهم كان يدفع لها المال ظناً منهم بأنه نوع من التسول ....[٥٦] .

ولم يدرك المرسلون ، قبل انقضاء وقت طويل ، بأن عملهم لم يكن مجدياً ، وأن البصريين كانوا يستمعون لهم آنذاك لحاجتهم إلى الخدمات الطبية والصحية والتعليمية إلى حد ما ، والى طبيعة الشعب البصري المضيافة . إلا ان هذا لم يمنع أنهم تركوا لنا أثراً واضحاً في التعرف على المجتمع البصري .

ملحق رقم (١)

Volume I : Nos . 1-40 : Reports 1892-1898/Quarterly Letters 1898-1901.

Volume II : Nos . 41-71 : Neglected Arabia 1902-1909

Volume III : Nos . 72-103 : Neglected Arabia 1910-1917

Volume IV : Nos . 104-131 : Neglected Arabia 1918-1924

Volume V : Nos . 132-155 : Neglected Arabia 1925-1930

Volume VI : Nos . 156-186 : Neglected Arabia 1931-1939

Volume VII : Nos . 187-215 : Neglected Arabia 1939-1949

Volume VIII : Nos . 216-250 : Neglected Arabia 1949-1962

ملحق رقم (٢)

تقرير السيدة جزن فان ايس حول مدرسة اليأس

قبل أيام قليلة قمتُ إنا ومعلمة اللغة العربية بزيارة رسمية قصيرة لمدرسة البصرة الحكومية للبنات التي تم فتحها مؤخراً والتي أضيف إلى ملاكها التدريسي مُحاضرة تركية من مدينة القسطنطينية ، وبما أنها المدرسة الحكومية الوحيدة للبنات في المنطقة ، فهي كانت منافستنا الوحيدة في استقطاب التلميذات المسلمات ، (حيث اقتصرت المدارس اليهودية والكاثوليكية على أطفال رعايا الكنيسة أنفسهم) ، فقد كُنا متحمسين جداً لرؤيتها ، وفي واقع الأمر يوجد الكثير من الفتيات الصغيرات في البصرة بحاجة الى المدارس ويتوفر المكان الكافي لأكثر من مدرستين وثلاث أو أربع ، ولكن الطلب على التعليم ضعيف ، ولربما تتدخل مدرسة المسلمين بجدية في أعاقة تطورنا في هذه المرحلة الحاسمة ، فقد تم استقطاب ثلاث من أفضل تلميذاتنا من دفعة السنة السابقة وأرسلن إلى مدرسة البنات الحكومية حتى يتسنى لهن دراسة القران وتحاشي الإنجيل ، ومن يعلم كم سيتبعهن على هذه الشاكلة ؟ لذا برغبتنا قمنا أنا والمعلمة

الماردينية الشابة مُلمات خاتون بخط طريقنا في احدى الأيام بعد الظهر ، خلال الشوارع الخلفية المزدحمة القذرة بإرشاد دليلتنا بوابة مدرستنا العجوز ام جاسم التي كانت شخصية بحد ذاتها لا تحب شيئا أكثر من المرافقة ، وان تكون شخصاً ما في مثل تلك الزيارات والرحلات القصيرة في طرق البصرة العامة والفرعية ، وقد صادفتنا الكثير من المشاكل من اجل أيجاد المكان وطرقنا الكثير من الأبواب خطأ قبل ان نلتقي مصادفة بطفلة صغيرة وقد خرجت من ثقب صغير في الجدار في واحد من أضيق واظلم الأزقة التي رأيتها في حياتي حتى وأنا في البصرة وأخبرتني بأن هذه هي المدرسة ، فدفعنا الباب الصغير فانفتح وبصعوبة بالغة ، صعدنا سلماً متقوساً كثير الصدوع وقد تهرأت وارتجت سُلماته ، وانحدرت حتى أني تساءلت أن لم تتكسر رقاب الفتيات الصغيرات عليها ، وأخيراً برزنا على سقف طيني متمعج ذات اسيجة متداعية للسقوط ، وتوجهنا بخطانا إلى غرفة صغيرة على اليسار مبنية بأجر وغير متماسكة لا من الداخل ولا من الخارج .

أما الأرضية فقد كانت عميقة قد غطتها الأتربة والقذارة وكست النوافذ بيوت العناكب الكثيفة حتى كان من المتعذر النظر إلى الخارج ، اقتصر أثاث الصف على صف من المصطبات العالية حول جوانب ثلاث جلست في إحدى الزوايا امرأة ذات ملامح قاسية ونظرات وضيعة ، كانت تلك مُعلمة اللغة العربية وقد جلست أمامها على المصطبات المتداعية اثنتا عشرة فتاة صغيرة ، تلكم هي مدرسة المدرسة ! لقد كان ذلك الشيء الوحيد الذي وفرته الحكومة التركية السامية للتعليم العالي للمرأة في البصرة التي يقال بأنها أغنى منطقة في الإمبراطورية التركية اجمع .

استقبلتنا معلمة اللغة العربية بحرارة قلبية وتأسفت بشدة على ذهاب المعلمة التركية لقضاء مدة العصر خارجاً ، وبعد تبادل الملاحظات المؤدبة المعتادة عبرنا عن رغبتنا لسماع الطالبات وهن يتلين دروسهن ، وكانت طالباتنا الثلاث السابقات يختلسن ألينا النظر من فوق كتبهن وشرعن بالقهقهة حينما سمعن طلبنا ، بدت المعلمة كارهة

جداً لعرض قابلية طالباتها التي في عهدتها وذلك بسبب عدم قدرتهن على فعل ذلك إلا بدرجة قليلة كما رأينا حينها ، ولكن الشيء الممتع حقاً الذي شهدناه هو سماع تلاوة القرآن ، فقد تأرجحت ابدان الفتيات جيئةً وذهاباً وهن يتلون بنبرة عالية ، ويُعد الصوت الترتيلي ضرورة لصحة تلاوة الكلمات المقدسة التي ربما لم يفهمن واحدة منها ، وهمست المعلمة مُلمات خاتون لي بالانكليزية قائلة ((أوه كيف يمكن ان تكون تلك الفتيات راغبات بالمجيء إلى هنا بعد ان كن في مدرسة جميلة كتلك التي بحوزتنا ؟)) وأجبت ((مساكين ، لا اعلم)) ، وتساءلنا حول المناهج الدراسية ووجدنا أن الفتيات يدرسن ، فضلا عن القرآن ، التقاليد الإسلامية ورياضيات من نوع ما وبعض المواضيع باللغة التركية ، التي هي بطبيعة الأمر إغريقية بدرجة كبيرة أو قليلة بالنسبة لهن ، ويتم تعليمهن كذلك بعض الأعمال اليدوية من الصنف المحلي البسيط نوعاً ما ، اما النظام والنتائج فلم تكن شيئاً هناك .

وعندما قادرنا اعتذرت لنا المعلمة عن الأوساخ والفوضى وسفاهة الفتيات وأكدت لنا بأن محاولة تعليم أطفال البصرة عملاً عاقاً .

وأسرعنا بالعودة إلى الشوارع المفتوحة والبيوت الجميلة على طول الجدول الرئيسي بأسرع ما يمكننا إلى داخل بوابتنا الأمامية الكبيرة التي كتب عليها ((مدرسة الرجاء للبنات)) ، كانت شمس العصر تصب حرها على الباحة الخارجية بينما دخلنا وأسرعنا الى سُلماتنا النظيفة اللطيفة ، وفي كل غرفة الأنفع صوت العمل المبهج ، في صفي المُرتب ذات الساتر البيضاء الناصعة جلست بنات الصف الثالث على مناضد المدرسة الأمريكية المريحة يدرسن ويحضرن دروس اليوم التالي وينقلن التمارين من السبورة ، وتجمعت بجانب البيانو الفتيات الكبيرات في مجموعات ضاحكة يقرأن مقطوعاتهن لمشهد مسرحي صغير من المقرر ان يكون ((العنصر الرئيسي)) في دعوتنا القادمة للأمهات ، وكان في الغرفة المجاورة صف يخيط بنشاط وكان الأطفال الصغار في الصف الخلفي منشغلين بصنع قبعات العمل النشيط ، وشد خرزات السبح

وهم ينتظرون أخواتهم الكبار حتى يذهبوا إلى المنزل ، وبيد كل واحد منهم كبيرا آم صغيرا منشغلاً وسعيداً ، وكان الجو العام مختلفاً عن ذلك المكان المهجور الذي غادرناه تواً كاختلاف الغرب عن الشرق .

وبدلاً من تلاوة القرآن تدرس تلك الفتيات حياة المسيح ، وبدلاً من دراسة القيم الإسلامية كن يتعلمن التركيب المدهش لجسم الإنسانية والعناية التي يجب ان تولى له ، أنهن يكتشفن العالم من جديد في صفوف الجغرافية ويهيئن أنفسهن لأن يكن ربات بيوت وأمهات ناجحات في العمل الذي تعلمه بعقولهن وأيديهن ، أن جميع الفتيات الأربعين المسجلات حالياً بلا استثناء تقريباً مسرورات بعملهن ويبدين أهلية طبيعية له.

يخبرنا بعض الناس الحكماء بأن الإسلام أفضل للمسلمين وأن الحضارة المسيحية لا يمكن ان يستوعبها الشرقيون لذا فمن الأفضل لهم ان يبقوا بعيداً عنها كما هم عليه ألان ، ان أمكن لهؤلاء الناس ان يزوروا ((مدرسة البصرة الحكومية التركية للبنات)) ، ويرون أين يتم تدريب زوجات وأمهات المستقبل وبعدها يأتون ويقارنون معها مدرستنا ((مدرسة الرجاء))،أتسأل ان كان لهم ان يستمروا في التفكير بالطريقة التي يفكرون بها ألان أتساءل ؟

Mrs.Jon Van Eess. A School of Hope Lessnes , Neglected Arabia. No.89, 1914 , P. 16-18.

ملحق رقم (٣)

تقرير السيدة إليزابيث كانتين حول التبشير النسوي في البصرة

عمل النساء في البصرة(Women's Working in Busra)

ان أقدم عمل منظم للنساء في البصرة هو العمل الطبي . فقد بدأ منذ ما يقارب الاثنا عشر سنة واستمر غالباً بانتظام منذ ذلك الحين وقد نما باستمرار ويعد اكبر عمل طبي نسوي في مجالنا كله . وكان عدد النساء المتعالجات .... خلال العام الماضي ، صحيح أنهم لا يمثلون كل النساء المسلمات ، ولكننا لاحظنا بارتياح ان عدد المسيحيات

واليهوديات اقل مقارنة بالمسلمات ، ومن المحتمل ان اغلب هؤلاء النساء كانوا ليُتركوا دون عناية لو لم يكن هناك طبيبات هنا ، لذا فقد كان العمل مهماً من ناحية حاجتهم الجسدية ، وكم هو مهم أكثر عندما يعطي هذا العمل العديد من الفرص لخدمة حاجتهم الروحية ، وليس هناك قسم للاعمال التبشيرية فيه ، ان هذه الفرص للعمل الفردي أروع من القسم الطبي ، وقد تحسب طبيبة الإرسالية على الفرص التي تمتلكها في العيادة اليومية وأجنحة المستشفى وفي المنزل عندما تقوم باتصالاتها الخارجية .

قد يكون مستشفى لاننسينغ التذكاري المكان الوحيد في البصرة حيث تجتمع النساء من مختلف الأعراق والديانات والفئات ، ولا يمكن ان لا يلاحظ أي شخص الاختلاف في اللون والصفات والرداء والسلوك لأولئك اللاتي يأتين للعيادة اليومية ، فكانت هناك المواطنات المسيحيات ، من البروتستانت والكاثوليك مع أزارتهم الحريرية الملونة بابتهاج المثنية بجمال حولهم ، واليهوديات مع أقنعتهم القبيحة وعباءاتهم المبطنة غير اللائقة ، والمسلمات اللاتي يختلف رداؤهن باختلاف مركزهن في الحياة ، ولكن معظمهن نزولاً من النساء التركيات الأنيقات حتى أفقر خادمة سوداء يرتدينَ العباءة الطويلة السوداء كرداء خارجي ، وكذلك كان الاختلاف رائعاً بين المرضى ، فقد شاهدت في احد الأجنحة امرأة تركية ، وبدويتين عربيتين ، وفارسية ، وخادمة سوداء – وجمعيهن مسلمات ، ومسيحية كاثوليكية ، بينما كانت هناك امرأة يهودية في الغرفة القريبة .

لقد وصل تأثير العمل الطبي النسائي إلى خارج نطاق البصرة ، فالعديد من المريضات كُن من العمارة والناصرية والمدن النهرية الأخرى شمال البصرة ، وبعضهن جئن من المحمرة ، من الجانب الفارسي .

ويوماً بعد يوم تسعى الدكتورة ، ومساعدتها إلى قيادة هؤلاء النسوة إلى المسيح بالخدمة اللطيفة الودودة والتبشير البسيط الجاد ، وقد شاهدنا النتائج وخصوصاً بين المرضى ، وبالتأكيد عندما نضع في اعتبارنا ألاف النسوة اللاتي سمعنَ الإنجيل ، هنا نأمل ان البذرة التي زرعناها خلال كل هذه السنوات ستكون ثمارها واضحة .

العمل التبشيري البروتستانتي (Evangelistic work)

لم يكن هذا العمل قديم العهد كالعمل الطبي ، اعتقد انه بدأ منذ ست سنوات حينما بدأ التبشير بالعمل البروتستانتي بين النساء في البصرة ، وكان يتم انجاز معظم هذا العمل بالاشتراك مع المستشفى ونأمل أن يكون كذلك دائماً ، فيتوفر هنا المجال الواسع للتبشير البروتستانتي وتستطيع أن توفر له الوقت الكافي ، وليس هناك طريقة أفضل للتعرف على النساء من مختلف الفئات من قضاء بعض الوقت صباحاً بين الحين والأخر في المستشفى مع النساء اللاتي يأتين إلى العيادة ، ودائماً ما نحصل على دعوات لزيارة منازل جديدة ، وعادة ما يكون التبشير في أجنحة المستشفى من أكثر الأعمال متعة ليكون من حصة الشخص المرتبط بالعمل بين النساء ، وتكون نتائجه سريعة مقارنة في الوقت نفسه في مجالات أخرى من العمل التبشيري البروتستانتي .

(زيارة المنازل- Hose Visiting)

من وجهة نظر التبشير البروتستانتي هناك قناعة أكثر من زيارة نساء الفئات الوسطى منها من زيارة الأغنياء جداً أو الفقراء جداً ، فهم كقاعدة أذكياء ويرغبون في سماع الرسالة ، ولكن الأغنياء وعلى الرغم من حبهم للنداء الاجتماعي ، فهم لا يبالون لتبشير الإنجيل ، ولكني مع ذلك قد شاهدت إحدى النساء في إحدى المنازل الثرية في البصرة تستمع بتأثير كبير حكمة الزراع بينما تقصها عليهم المبشرة بالكتاب المقدس بطريقتها البسيطة الجذابة .

يعمل معظم أفراد الطبقة الوسطى بزراعة أراضي التمر الكبيرة ، وتستطيع ان تمضي ساعات بهيجة ومفيدة تقرأ وتتحدث مع النسوة بينما تزورهم في بساتين التمر ، أما أصحاب الفئات الأفقر فإنهم جاهلون جداً بحيث لا تستطيع ان تفهمهم ابسط قصص الإنجيل، ولكنهم لهذا السبب الأكثر حاجة لتعليمنا .

يُعد اجتماع الصلاة النسوي احد أجزاء العمل التبشيري البروتستانتي الذي يتمتع بأهمية خاصة بالنسبة للمجتمع المسيحي ، لأننا نريد ان نرى المواطنين المسيحيين

يأخذون دوراً أكثر جدية وفاعلية في هداية المسلمين ، ونحن نأمل في اجتماعنا معهم في الصلاة لهذا العمل بأنهم يستطيعون ان يعرفوا فرصتهم ومسؤولياتهم.

الرحلات التبشيرية خارج المركز
(Out – Stations and itineration)

قبل حوالي ثلاث سنوات تقريباً تم تعيين إحدى إرسالياتنا إلى عمل القرى وخارج مركز البصرة ، وحتى ذلك الوقت تمت زيارة القليل جداً في المدن والقرى قرب البصرة ، ولم يكن هناك أي عمل منتظم فيها ، ومنذ ذلك الحين كان للزبير إرسالية مقيمة من شهرين إلى ثلاثة كل سنة ، وكذلك الحال في العمارة حيث تم العمل فيها لعدة أسابيع كل مرة ، وربما قد قرأ معظمكم تقارير رحلاتنا التبشيرية ، فتوغل بهذا العمل ، وتعلمون كم كان استقبالها مختلفاً هذه السنة في الزبير عن أول مرة ذهبت هناك ، وتبقى في كل مرة لمدة أطول ، وتتنقل بحرية اكبر من السابق ، وتجد ان قلوب النساء أكثر استقبالاً لها ، ونقتبس من احد تقاريرها ، ((لقد أثبتت الرحلة الى الزبير التي تمت في بواكر الربيع حافزاً كبيراً للعمل الذي بدأ حديثاً في ذلك المكان المتعصب ، وخلال تعاملهم مع المسيحيين علم الناس بأن ديننا يُعلم النقاء والصدق وفوق كل هذا الحب)) . . ((والتقدم الكبير الذي لاحظته في الزبير هو أنه بدلاً من ان ينظروا إلي بشفقة كالسابق ، دعتني النساء من الأسر الغنية هذه السنة ، ليس فقط لزيارتهن ولكن لأقرأ لهن وأناقش معهن فضائل الدين المسيحي أيضاً ، ولهذا فقد قضيت معظم أوقات بعد الظهر بصورة نافعة)) .

العمل التربوي
(Educational Work)

ان السمة الجديدة لنشاطنا النسوي يتمثل في العمل التربوي للنساء والبنات ، فقد تشوقت محطة البصرة منذ زمن بعيد لفتح مدرسة للبنات ، وقد تحققت هذه الأمنية عند نهاية عام ١٩١٢ ، وإذا استمر النجاح الذي حالفها طويلاً فستصبح مدرسة كبيرة سريعاً

، ففضلا عن الدروس المنتظمة في العربية والانكليزية تتعلم الفتيات إعمال الخياطة والتخريم الأمر الذي يبشر بأن يكون سمة جذابة ، وقد عبرت بعض السيدات التركيات عن توقهن لتعليم بناتهن صنع الفساتين على غرار أزيائنا الأميركية ، فعندما يرى المر تلك الفتيات وهن لابسات الزي الفرنسي المتطرف ذات الخليط غير المتجانس من الألوان ، فيشعر من باب العطف ان نساعدهن في هذا الاتجاه .

والروضة تعد شيئا ذا حداثة ولاشك في إنها ستثبت شعبيتها وانتشارها .

ان المزايا المادية الملموسة واضحة ولكننا نهدف إلى تقديم أكثر من ذلك ، إذ أنه من دواعي أملنا وتطلعاتنا بأن تتعلم البنات حاجتهن للمنقذ عيسى المسيح وذلك عن طريق التوجيه الديني المباشر بواسطة التأثير الذي يمارسه المعلمين المسيحيين والاحتكاك اليومي بالبعثات التبشيرية .

ومن اجل الاهتمام بتطور عملنا النسوي تدعو الحاجة إلى الكثير من العمال في سكان البلاد فلا تملك المستشفى في الوقت الحاضر سوى عمال اثنين ولا يوجد غيرهم ، هذا ولا يوجد امرأة إنجيلية تتمكن من أعطاء ربع وقتها للعمل التبشيري ، في حين لا يوجد إلا معلمان اثنان قائمان على العمل التربوي ، ولكننا نواجه مشكلة كبيرة هنا وهي عدم توفر العمال عند الطلب فنحن نخطط من اجل أقامة صف تدريبي نسوي ولكن لا يوجد إلا القليل من العناصر الجيدة في البصرة وبسبب حاجتنا لمعلمات أرسلنا طلباً للبعثة التبشيرية في مادرين لتزويدنا بالمساعدين ، فأن نجحنا في الحصول عليهم فسيعني ذلك الكثير لعملنا ، ويحتاج العمل الطبي كذلك إلى ممرضة أميركية مدربة بوسعها تكريس جل وقتها للإشراف على العمل في المستشفى .

ولكن حاجتنا الأكبر تكمن في صلوات واهتمام الكنيسة من اجلنا داخل الوطن .

Elizabeth Cantina, Neglected Arabia , no . 86 . 191`3 . p. 6-9 .

الهوامـــش

١- تتفرع الكنيسة المسيحية إلى ثلاثة فروع ، الكنيسة الكاثوليكية ، والكنيسة الأرثوذكسية ، والكنيسة البروتستانتية ، وهذه الأخيرة هي نتيجة حركة الإصلاح الديني ، أبصرت النور في القرن السادس عشر ، عندما أعلن مارتن لوثر احتجاجاته في ألمانيا على تصرفات رجال الدين الكاثوليك السيئة ، ثم انتقلت إلى سويسرا وفرنسا وذلك عندما قاد زوينجلي ، وكالفن ثورتهم على الكنيسة الكاثوليكية ، وبعد ذلك امتدت لتشمل دولاً أوربية أخرى قبل ان تنتقل إلى أمريكا مع المهاجرين الأوربيين . حارث يوسف غنيمة ، البروتستانت والانجيليون في العراق ، بغداد ، ١٩٩٨ ، ص٩ .

٢- انفردت الإرسالية العربية الأمريكية بالتبشير البروتستانتي في جنوب العراق ومنطقة الخليج العربي ، فبعد تأسيس محطة البصرة سنة ١٨٩١ انطلقت منها في السنوات اللاحقة إلى مدن أخرى ، فافتتحت محطة البحرين في البحرين سنة ١٨٩٣ ، ومحطتي العمارة والناصرية سنة ١٨٩٥ ، وفي مسقط سنة ١٩٠٨ ، وفي الكويت سنة ١٩١٠ ، وفي قطر سنة ١٩١٤ ... الخ . لمزيد من الإطلاع ينظر عبد المالك خلف التميمي ، التبشير في منطقة الخليج العربي ، الكويت ، ١٩٨٢ ، ص٥٢-٧٠ .

٣- طلب أمناء الإرسالية العربية في مقرها في الولايات المتحدة تقارير ميدانية دورية من الأعضاء في محطة البصرة ، وفي الأول من كانون الأول ١٨٩٢ قدم جيمس كانتين وزويمر و ريكز اول تقرير ميداني فصلي من البصرة :

Neglected Arabia , Arabia Calling 1892-1962 , Cambridge Archive Edition , www.archiveeditions.com

٤- Ibid .

٥-حول المجلدات ينظر الملحق رقم (١)

٦- Jams Cantine , Historical Sketch of Basrah Station , Neglected Arabia , No – 86 , 1913 , P. 3-6 .

٧- ان الكنائس التي تستند في عقيدتها إلى تعاليم كالفن وما طرأ عليها من تعديلات تعرف بـ(الكنائس المصلحة) .. وقد سميت كنائس سويسرا وهولندا وعدد من كنائس المانيا بالمصلحة . حارث يوسف غنيمة ، المصدر السابق ، ص٢٩-٣٠ .

٨- يعد صاموئيل مارينوس زويمر من اخطر المبشرين وأشهرهم في القرن العشرين ، فهو صاحب فكرة مؤتمرات التبشير وقد تولى رئاسة مؤتمرات عديدة فضلا عن انه كان يرى ان التعليم التبشيري هو المصدر الرئيسي للعمل بين المسلمين ، وله عدة مؤلفات في ذلك ، كما انه تولى الدعوة الى عقد مؤتمر عام يجمع إرساليات التبشير للبروتستانتية للتفكير في أفضل الوسائل اللازمة لتنصير المسلمين ، ومن ابرز آرائه لدفع حركة التبشير هو إيمانه بأن هدف التبشير ليس إدخال المسلمين في دين معين ولكنه إخراجهم من الإسلام عن طريق زعزعة ثقة المسلمين بدينهم من خلال حملات التبشير التي يخوضونها ضد الإسلام ، وزويمر من مواليد ولاية مشيغان الأمريكية سنة ١٨٧٦ ، تخرج من كلية الأمل (Hope College) في سنة ١٨٨٧ ، وفي ١٨٩٠ تخرج من المدرسة اللاهوتية في نيوبرونزويك في ولاية نيوجرسي ، عين أستاذ البعثات وأستاذ تاريخ الأديان في جامعة برنستون اللاهوتية لغاية عام ١٩٥١ ، وتوفي في العام التالي ١٩٥٢ ، للمزيد ينظر :

www.forsan haq – com ; www.marefa .org;

يوسف الطويل ، الاستشراق غزو فكري لتدمير الحضارة الإسلامية(٥)،موقع على الانترنت .

٩- في سنة ١٨٢٣ أسست في لبنان أول إرسالية بروتستانتية أمريكية ، وقد أبدت اهتماماً كبيرا بالاتصالات مع السكان المحليين ، ويطبع الكتاب المقدس باللغة العربية وفتح شبكة من المدارس . للإطلاع ينظر بوندارdفسكي ، سياستان إزاء العالم العربي ، موسكو ، ١٩٧٥ ، ص٢١٨ وما بعدها .

١٠- James Cantine , Op, Cit .

١١- عبد المالك خلف التميمي ، المصدر السابق ، ص٥٢ .

١٢- James Cantine , Op, Cit .

١٣- Ibid

١٤- جعفر عبد الدائم بنيان ، الحالة الصحية في البصرة ١٩٢١- ١٩٣٩ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة البصرة ، كلية التربية ، ١٩٩٨ ، ص٥١-٥٤ .

١٥- وهو مستشفى الغرباء الذي تم افتتاحه في ٢٨ اب ١٨٩٠ في محلة عز الدين في البصرة ، المصدر نفسه ، ص٥٢ .

١٦- اول طبيب وصل للعمل مع الإرسالية في البصرة كان الدكتور ريكز (C.E.Riggs) ، وذلك في ربيع عام ١٨٩٢ غير أنه لم يكن على وفاق معهم من حيث العقيدة ، لذا فقد تم استدعاؤه ، رغم كفائته الطبية ، عبد المالك خلف التميمي ، المصدر السابق ، ص٨٤-٨٥ .

١٧- تشير كتابات المرسلين إلى أن هناك صورة ثابتة عن الاعتلال الصحي للأعضاء الذين اشتغلوا في هذا المجال ، فعلى سبيل المثال لا الحصر أن (P . J. Zwemer) ، الذي خدم الإرسالية منذ البداية رجع إلى الولايات المتحدة وتوفي هناك في سنة ١٨٩٨ وقبل ان يبلغ الثلاثين من العمر ، وان (Mr . Barny) ، أصيب بمرض التايفوئيد سنة ١٨٩٩ ، وأن (Rev .Stonn) توفي بالسكتة الدماغية بعد عدة اشهر من ممارسة عمله في محطة مسقط التبشيرية ، وفي ١٩٠٥ توفي(Dr . Marion Thomes) في عمر مبكر بعد عمله لعدة سنوات في محطة البحرين ينظر .

Neglected Arabia , Arabia Calling 1892-1962 , Cambridge Archive Edition, Op . Cit .

١٨- Arther K. Bennett , Busrah Medical Work , Neglected Arabia , No 86 , 1913 , P.10-11 .

١٩- James Cantine , Op, Cit. p.5

٢٠- تعد السيدة د. وورال من شخصيات الإرسالية العربية النسائية المهمة في البصرة خلال العقود الأولى من القرن العشرين فعلاوة على اشتغالها بالتبشير المسيحي وسط العراقيين فأنها عملت مساعدة لزوجها الطبيب د.وورال في إدارة مستوصف البصرة وغيرها من الأعمال الأخرى . خالد البسام ، ثرثرة على دجلة ، عمان – الأردن ، ٢٠٠٤ ، ص٥١ .

٢١- عبد المالك خلف التميمي ، المصدر السابق ، ص٩٥ .

٢٢- نظراً للشهرة التي بلغها د. وورال في معالجة مختلف الأمراض ، فأن ابنة اخ حاكم البصرة أرسلت تطلب منه معالجتها في البيت رغم أنه كان لديها عدد من الأطباء ينظر :

المبشرة الأمريكية د. وورال في مستوصف البصرة عام ١٩٠٣ نقلاً عن خالد البسام ، المصدر السابق ، ص٥٣ .

٢٣- يبدو ان طفل الدكتور والدكتورة وورال قد توفي بهذا المرض أيضاً عام ١٩٠٣ . المصدر نفسه ، ص٥٣-٥٤ .

٢٤- المبشرة الأمريكية وورال في مستوصف البصرة عام ١٩٠٤ ، خبز البصرة يعالج الملاريا ، المصدر نفسه ، ص٧٥ .

٢٥- المصدر نفسه .

٢٦- Arther K. Bennett , Op. Cit . P.11 .

٢٧- ٢٨-Ibid

وهو مرض معد ومزمن تسببه عُصية هي ((المتفطرة الجذامية)) يصيب الجلد والأعصاب المحيطية والغشاء المخاطي والعينين فضلا عن مناطق أخرى ، يتطور ببطء شديد على امتداد عدة سنوات من اغلب الأحوال ، وهو ينتقل من الأشخاص المصابين والذين يتلقون المعالجة إلى الأشخاص الذين تكون مناعتهم منخفضة ، وبكتريا الجذام تشبه بكتريا مرض السل ، ويمكن ان تمتد المدة بين الإصابة بالبكتريا وظهور علامات المرض إلى ١٠ او ١٥ سنة ، لمزيد من الإطلاع ينظر :

www.mawared.org,

-www.who.int\mediacrnter

٢٩- Arther K .Bennett , Op, Cit . P.12-13

٣٠- نسبة للجنرال مود .

٣١- حارث يوسف غنيمة ، المصدر السابق ، ص١١٧ .

٣٢- James Cantien , Op, Cit . P.13

٣٣- لمزيد من الاطلاع ينظر . ليلى ياسين حسين ، النشاط التعليمي للارسالية الامريكية في البصرة ، مجلة دراسات تاريخية ، ع١ ، حزيران ، ٢٠٠٥ ، ص٧ .

٣٤- Dorothy Fir Man Van Ess , The Minaret and The Scholl – bell , Negleceted Arabia , No -86 . 1913 . P. 13 .

٣٥- ٣٦-Ibid , P.14

٣٧- في سنة Ibid . p15 .

١٩٠٥ افتتح السيد بارني Barny وهو من قادة الإرسالية ، أول مدرسة صغيرة في بيته ولكن السلطات العثمانية أغلقتها بعد مدة قصيرة لعدم وجود ترخيص مسبق لها ، وبعد استيلاء الاتحاديين على الحكم سنة ١٩٠٨ ، سمحت السلطات العثمانية المحلية للسيد موردیك E.Mordyk بافتتاح مدرسة في البصرة ، وقد بدأت بثلاثين تلميذاً ولكن لم تستمر طويلاً أيضاً ينظر : ليلى ياسين حسين ، المصدر السابق ، ص٧ .

٣٨- جون فان ايس ١٨٧٩-١٩٤٩ :

ولد في ولاية ميشغان الأمريكية من اصل هولندي ، وكان والده راعياً للكنيسة المصلحة الهولندية ، تخرج في احدى الكليات الأمريكية في ١٨٩٩ ، وعكف على دراسة اللغات السامية ، بما فيها اللغة العربية لمدة ثلاث سنوات في جامعة برنستن اللاهوتية ، أوفدته هيئة الإرسالية العربية الأمريكية إلى البصرة سنة ١٩٠٣ ، وهو في الثالثة والعشرين من العمر ، جاب المنطقة الجنوبية من العراق بمدنها وقراها وارتاد اهوارها للتعرف على طبيعتها وأحوال سكانها ، عين في سنة ١٩١٤ قنصلاً مؤقتاً للولايات المتحدة الأمريكية في البصرة ، ساعد قوات الاحتلال البريطاني في وضع الخطط الرئيسية لسياسة بريطانيا التعليمية في المناطق المحتلة من العراق ، وظل يدير شؤون المعارف في البصرة لغاية عام ١٩١٨ عندما اندمجت معارف البصرة بمعارف بغداد ، لمزيد من الاطلاع ينظر . جون فان ايس ، أقدم أصدقائي العرب ، ترجمة جليل عمو ، بغداد ، ١٩٤٩ ، ص٣٣٨-٢٤٢ ؛ حارث يوسف غنيمة ، المصدر السابق ، ص١١٩-١٢٠ ، جريدة (الثغر) ، البصرة ٣٠ نيسان ١٩٤٩ .

٣٩- دوروثي فيرمان فان ايس : مبشرة أمريكية بروتستانتية ولدت في ٣٠ تموز ١٨٨٥ في وكفيلد ، ماساتشوس ، حصلت على درجة B.A من كلية ماونت هوليوك في ١٩٠٦ ودرجة M . A من كلية وليسلي في ١٩٠٨ ، تعرفت على جون فان ايس في العراق سنة ١٩٠٩ عندما كانت تعمل في الإرسالية العربية الأمريكية في محطة البحرين التبشيرية ، وتزوجا في أمريكا سنة ١٩١١ ، وعادا إلى البصرة في العام نفسه حيث عهدت لهما الشؤون الثقافية للإرسالية في البصرة ، للمزيد من الإطلاع ينظر .

Van Ess , Dorothy – Papers 1905-1957 .

على الموقع : Oasis – Lib – harvard . edu .

٤٠- أي المنطقة الجميلة بشوارعها المفتوحة على محاذاة نهر العشار باتجاه محلة الباشا حيث السراي الحكومي وقصور الباشوات .

٤١- Dorothy Firmon Van Ess , Op, Cit . P. 16 .

٤٢- شهدت البصرة فتح أول مدرسة للبنات في سنة ١٩٠١ ، إلا ان الإقبال عليها كان ضعيفاً بسبب العادات الاجتماعية التي منعت البنات من الدخول إلى المدارس . محافظة البصرة ، مكتب الأعلام والعلاقات العامة ، كراس البصرة، الماضي والحاضر بغداد ١٩٨٦ ،ص٢٨٢ .

43 -MRS . John Van Ess , Ascholl of Hopelessness , Neglected Arabia , No 89 , 1914 , P. 16 .

٤٤- للإطلاع على تقرير السيدة فانس ايس راجع ملحق رقم (٢) .

٤٥- المصدر نفسه .

٤٦- لمزيد من الإطلاع ينظر :

John Van Ess , Privileges of a pedagogue , N.9 , No – 98 , 1916 , P. 7-8

٤٧- Dorothy Firman VanEss , Op, Cit , P. 14 .

٤٨- Ibid . P. 15 .

٤٩- المبشران " فرد بارني " و " شارون توماس " يرويان عن البصرة وبغداد عام ١٩٠٠ ، نقلاً عن خالد البسام ، المصدر السابق ، ص٢٢ .

٥٠- لمزيد من الاطلاع راجع :

Elizabeth Cantina , women’s work in Busrah , neglected , Arabia , No – 86 , 1913 , P. 6-7.

٥١- المبشرة الأمريكية : وورال في مستوصف البصرة عام ١٩٠٣ ، المصدر السابق ، ص٥٥ .

٥٢- المصدر نفسه ، ص٥٤ .

٥٣- Elizabeth Cantina , Hous visiting , op. cit . p.8.

٥٤- لمزيد من الاطلاع راجع تقرير إليزابيث كانتين في الملحق رقم (٣) .

٥٥- جون فان ايس ، أقدم أصدقائي العرب ، ص١٥٦-١٧٦ .

٥٦- المبشران ،فرد بارني " شارون توماس " يرويان عن البصرة وبغداد عام ١٩٠٠ ، المصدر السابق ، ص٢٠-٢١ .